الأضداد في اللغة

الدكتور حسين

- 3 -

خالفت اضداد ابي حاتم السجستاني ما سبقها من كتب فى العنوان ، اذ لم تقتصر على الاضداد وحدها ، بل هي « كتاب المقلوب لفظه فى كلام العرب ، والمزال عن جهته ، والاضداد » . والمراد بالجزء الاول من هذا العنوان ما يسمى « المقلوب » مثل تهيبني الطريق وبالجزء الثاني الاضداد نفسها مثل الجزء الثالث ، فالمزال عن جهته هو ما وجه وجهة مضادة غير معناه الاصيل . فالعنوان يصرح اذن ان الكتاب خاص بالاضداد ، والعبارات المقلوبة. ولكن هذا التقسيم لم يثمر ما يماثله فى متن الكتاب.

وتشتمل اضداد ابي حاتم على 170 ضدا ، اخذ منها 116 من قطرب ، واتفق ابن السكيت معه فى 54 منها . ولم يشترك ابو حاتم مع ابن السكيت فى شيء من بقية الاضداد التى لم يأخذها من قطرب ، وقدرها 54 ايضا . فلم يقع بينهما اشتراك الا فيما اخذاه من قطرب . ولكن ابا حاتم لم يأت بهذه الاضداد من عنده ، بل اخذه منها من ابي زيد (166 ، 211 ، 216 ، 243 ، 244) ، و 3 من الاصمعي (214 ، 267 ، 271) ، واثنين من ابي عبيدة (106 ، 118) وواحدا من التوزى (180) وآخر من ابي زيد والاصمعي معا (275) . واشترك مع ابن الانباري فى 28 ضدا ، لا ندري مصدرها على وجه اليقين ، وان ورد فيها اسماء بعض اللغويين .

اما ما انفرد به ابو حاتم عن قطرب وابن السكيت فاضداد قلائل ، يمكن ان نفرعها الى الانواع التالية :

ا ـ ما يتبع صيغة انفعل وافتعل من الاجوف والمضاعف ، وهما الصيغتان اللتان زادهما هذا المؤلف (175) .

ب ـ ما يتبع صيغة فعول وفعيل (158 ، 160 ـ 165 ، 173 ، 203 ، 204) . وسبب انفراده تجديده فى امثلتهما .

ج ـ اضداد كان يشك فيها (246 ، 272) .

د ـ اخطاء (209 ، 231) .

وظننت فى باديء الامر انه حذف ما حذف من اضداد ابن السكيت ، لانه لم يرض عنها او عن نوع الاضداد الذى تمثله . ولكن الدراسة بينت انه ذكر من الاضداد ما هو من نوعها . فقد حذف بعض اضداد مجازية (65 ـ 69 ، 71) واضداد اللغات (57 ، 59) واضداد التطير (96) واضداد المتعلقات (13) . واضداد فعول وفعيل (87 ، 30) وغيرها. وكان من هذه الاضداد التى حذفها ما رواه ابو عبيدة (60 ، 67 ، 70 ، 71 ، 100) وابو عمرو الشيباني (12 ، 14 ، 56) والاصمعي (10 ، 15) وقطرب (98) . وكان فيما زاده اضداد الصيغ المختلفة من افعل وفعول ومفتعل وتفعل (246 ، 162 ـ 165 ، 175 ، 203 ، 231) واضداد مجازية (273)

واضداد اللغات (227) واضداد المتعلقات (236) وغيرها . أما الفرق الواضح بينهما فكثرة اعتماد ابن السكيت على أبي عبيدة وابي عمرو الشيباني ، واكثار ابي حاتم الرواية عن قطرب وابي زيد والاصمعي .

وجمع أبو حاتم في آخر كتابه ثلاثين ضدا ، افردها عن بقية الكتاب لشكه فيها . ووجه اليها نقدا عاما اذ قال (1) : « وقد ذكر بعض اصحابنا حروفا لا علم لي بها : اتقال أم لا » . وكان من هذه الاضداد ما شاركه فيه ابن الانباري (257) وما شاركه فيه قطرب وابن الانباري (252) ، وما شاركه فيه الاصمعي وابن السكيت وابن الانباري والصغاني (187) .

ولا تختلف الخطة التي سار عليها ابو حاتم في معالجة الاضداد ، في معالمها الكبرى وان اختلفت في بعض التفاصيل ، عما رايناه في اضداد ابن السكيت. فهما متفقان في تقديم المادة ، فمعنييها ، فشواهدهما تارة ، وتقديم المادة فاحد المعاني وشواهده ، فالمعنى الآخر وشواهده . قال (2) : « بيضة البلد . يقال : فلان بيضة البلد : اذا ذم ، اي قد انفرد ، ويقال ذلك في المدح ، زعموا . فأما في الذم فقال الراعي لعدي بن الرقاع العاملي :

تأبى قضاعة ان تعرف لكم نسبا
وابنا نزار فانتم بيضة البلد

قال ابو حاتم : يجوز ان يكون قول الراعي هزءا ، يهزأ بهم يقول : انتم سادة البلد ، وهو يهزأ بهم . وقال حسان لمزينة ، وقد قتلوا اباه فجعلهم جلابيب ، اي سفلة :

أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
وابن الفريعة امسى بيضة البلد

وقال المتلمس :

لكنه حوض من أودى باخوته
ريب المنون فاضحى بيضة البلد

واما قول ابن الزبعرى :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد مناف

فليس من هذا في شيء» . وقال (3) : «زهق. الزاهق : الميت . يقال : زهقت نفسه وقال تعالى : « وتزهق انفسهم » و « قل جاء الحق وزهق الباطل » وزهق بين يدي القوم : مضى وتقدم . وقالوا : والزاهق : السمين ، قال زهير :

القائد الخيل منكوبا دوابرها
منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقلما كان يسلك الطريقة الثانية ، الا في المقتطفات التي اخذها من غيره . وكان في بعض الاحيان يترك الطريقتين ، ويذكر المادة كما تاتي . قال (4) : « ظهر . بطن : وقال الحسن رحمه الله : (بطائنها من استبرق) . ظواهرها . وقالوا : ظهر السماء : وجهها ، وبطن السماء كذلك ، وقرات القرآن عن ظهر قلب . وعن ظهر اللسان . قال الشاعر :

وان من القول التي لا شوى لها
اذا زل عن ظهر اللسان انقلابها

وقالوا في قوله تعالى : « فيظللن رواكد على ظهره » اي على وجه البحر . وقالوا : امر ظاهر عنك : اي زائل ، قال الهذلي ابو ذؤيب :

وعيرها الواشون اني احبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

اي زائل . ويقال : النعمة ظاهرة عليه : اي لازمة له » . فالمعاني والشواهد كلها مختلطة لا نظام لها .

---

(1) ص 148 .
(2) 171 .
(3) 195 .
(4) 240 .